

— ٩٨ —

بالمعارف اليقينية ، وأن الفكر الإنساني لا يستطيع أن يعتمد من الخطأ — في الفلسفة وفي العلم — إلا بعكوفه الدائب على التجربة ، ويتمخذه عن جميع أفكاره اللاتية السابقة ، وأن الأشياء في ذاتها لا يمكن إدراكها ، لأن الفكر الإنساني لا يستطيع أن يدرك سوى العلاقات بين الأشياء ثم القوانين التي تخضع لها هذه العلاقات (١) .

وعلى أثر ذلك سادت عقلية الثقتين بين نقاد الأدب والفن ، كما سادت بين العلماء وفلاسفة العصر . وكان أعظم ناقد مثل هذا الإتجاه هو « تين » (١٨٢٨ — ١٨٩٣) ، وقد تأثر به الواقعيون كما تأثر به البرناسيون ، لأنه في نقده مثل الفلسفة الوضعية والتجريبية معاً ، وهو يقيم نقده في الأدب والفن على ملاحظات الحقائق الخارجية ويجتهد في استخلاص القوانين منها . وقد حاول أن يرجع كل الأفكار إلى أساسيس تتمحول إلى نتاج ذهني عن طريق عملية التجريد ، وقرر أن الحالات النفسية تابعة في نشأتها ونموها للحالات العضوية ، وأن الأفراد فيها خاضعون لتووع من الخبرة لا يتخلف ، شأنهم في ذلك شأن الشعوب التي ينتمون إليها ، وأراد أن يشرح الإنتاج الأدبي في مختلف الشعوب عن طريق هذه الخبرة . ففي مقدمة كتابه : « تاريخ الأدب الإنجليزي » رأى أن الإنسان نتاج البيئة التي عاش فيها ، والجنس البشري الذي انحدر منه ، والميراث الثقافي الذي أخذته عن قومه ، وأن عبقرية الكتاب والشعراء والفنانين جملة لا تفسر لها بغير هذه العوامل الثلاثة . وقد حاول تطبيق قاعدته تلك على كتاب الإنجليزي وشعرائهم في كتابه السابق ، كما حاول تطبيقها على بعض الشعراء الفرنسيين والكتاب اللاتينيين .

وواضح أن آراء « تين » هذه ليست صحيحة على إطلاقها وأنها إذا شرحت بعض جوانب الإنتاج الأدبي ، فإنها لا تشرحه جميعاً ، ثم أنها تشرح العمل الفني بعوامل خارجية في الواقع عنه ، ولسكنها كانت تمثل الإتجاه العام للفلسفة الوضعية السائدة في العصر . وقد أثرت من هذه الناحية على الرناسيين